**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد.**

**فيسر إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح للإنتاج الإعلامي والتوزيع بالإسكندرية أن يقدموا لكم هذه المادة، والتي هي بعنوان "رجل لكل العصور"، لفضيلة الشيخ الدكتور: محمد إسماعيل، والآن نترككم مع فضيلة الشيخ.**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، أما بعد.

فنشرع بإذن الله تعالى في الكلام هذا المساء حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ونبدأ بولادته وأسرته ونشأته رحمه الله تعالى.

فهو أحمد تقي الدين أبو العباس كنيته أبو العباس ولقبه تقي الدين، واسمه أحمد.

ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ نجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله، هذه الأسرة تعرف بأسرة ابن تيمية، واختلف في سبب تسمية هذه الأسرة بتيمية أو آل تيمية، فقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب ثيماء، مكان يسمى ثيماء فرآى هناك طفلة من ثيماء فنسبتها تيمية، فرجع من ثوره فوجد امرأته ولدت بنتًا فسماها تيمية نسبة إلى هذه الطفلة التي رآها في درب تيماء.

وقيل: إن جده محمدًا كانت أمه واعظة وكان اسمها تيمية فنسبت الأسرة إليها، وعرفت بها.

ولد شيخ الإسلام في العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من بعد الهجرة النبوية، وبعد الروايات تذكر أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، ولعل في هذا نوع من الاستبشار بأنه يكون قد ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لأنه سيحيي ويجدد شريعته، سنة 661 من الهجرة، وكان مولده في مدينة حران، وقد نشأ النشأة الأولى فيها إلى أن بلغ السابعة من عمره فأغار عليها التتار ففر أهلها منها، وكان ممن هاجر من حران أسرة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، هاجرت صوب دمشق ولم يكن الطريق خاليًا من الأعباء بل لم يكن آمنًا ولم يكن معبدًا، وقد لقوا مشقة في السفر فقد سافروا ليلًا هاربين، من جحافل التتار، وهذه الأسرة أسرة علم أكمل متاعها ليست الملابس ولا الفرش ولا كذا وكذا وإنما أهم ما تقتنيه مثل هذه الأسرة هي كتب العلم.

فهي للعلماء متاع وثروة وغذاء وحلية نفيسة، وحملها في الانتقال والرحلة شاق عسير، خصوصًا إذا كان الانتقال فرارًا من عدو يطاردهم، فنقلوا كتبهم على مركبة لعدم توفر الدواب التي تحملها، ولأنه يشق حمل الكتب الكثيرة على الدواب، وقد كان العدو يلحقهم حيث توقفت العجلات التي حملوا عليها متاعهم توقفت عن السير فاستغاثوا بالله -سبحانه وتعالى- وجأروا إليه واستعانوا به فنجاهم الله تعالى من القوم الظالمين.

ووصلوا إلى دمشق واستقروا فيها آمنين وكل ذلك وهذا الغلام ذو النفس المرهفة الحس يرى ويسمع ويدرك، فقد رأى الهول الأكبر في غارات التتار المفسدة، ورأى الفزع الأكبر يجتاح في السكان الآمنين يهرعون طالبين النجاة وما يكادون ينجون، ثم رأى أسرته تعاني مشقة الطريق، ومشقة حملها الثمين، وتخاف الضياع، رأى كل ذلك الغلام الذكي فانطبعت في نفسه صغيرًا كره التتار وكره الظلم ومن هنا هذا زرع في شيخ الإسلام الحماس لمجاهدة هذا الظلم ودفعه، فحينما استوى رجلًا مكتمل القوى كان يقود الجحافل لقتال التتار مع أنهم أعلنوا الإسلام واعتنقوه وصار شأنهم كشأن غيره من طوائف الإسلام.

في الحقيقة هذه العبارة من الشيخ أبو زهرة فيها شيء من النظر لأن التتار انتماؤهم إلى الإسلام فيه نوع من التفصيل إن شاء الله ستنذكره في حينه حينما نذكر كلام شيخ الإسلام أو موقف شيخ الإسلام من جهاد التتار، فعلم مع أنه كانوا مسلمين، لكنهم ارتكبوا هذا الظلم فاستحقوا بذلك وصف البغاة، الذين يجب قتالهم حتى يتوبوا أو يقدر عليهم، فقاتلهم لهذا ولتخرج من تحت سلطانهم الشعوب المسلمة التي هضموها حقها وعاثوا في أرضها فسادًا.

لم يذكر المؤرخون القبيل الذي تنتمي إليه أسرة ابن تيمية رحمه الله تعالى، لم يذكروا من النسبة إلا أنه كان حرانيًا فنسبوه إلى بلدة حران موطن أسرته الأول، ولم ينسبوه إلى قبيلة من قبائل العرب، وهذا فيه إشارة إلى أنه لم يكن عربيًا أو لم يعرف أنه عربي منتسب إلى قبيلة عربية، ولعله كان كرديًا، وهذا هو الظاهر لأن هذه المنطقة حران تقع في حدود الأكراد.

وهم قوم ذووا همة ونجدة وبأس شديد وفي أخلاقهم قوة، كانت هذه الصفات واضحة لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وقد كان الأكراد في القرن السادس والقرن السابع الهجري مواقف رائعة في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، فقد وقفوا في صدر الجبهة الأولى للإسلام ضد الصليبين ولعل أشهر شخصية كردية تصدت للصليبيين هو صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى.

فتلقى الأكراد الصدمة الأولى من التتار ثم الصدمات التي تليها حتى أيأسوا الصليبين من التحكم في المسلمين بل على الأقل فلوا من حدتهم وخضضوا من شوكتهم حتى أعادوهم إلى بلادهم محطومين حينما توحدوا مع الشيخ المصري.

انتقلت أسرته إلى دمشق واستقر بها المثوى، والعالم الجليل حيثما حل وجد مكانه من الهدى والإرشاد، أيضًا بمجرد وصل والده شهاب الدين إلى دمشق ذاع فضله واشتهر أمره فكان له كرسي للدراسة والتعليم والوعظ والإرشاد بجامع دمشق الأعظم، وتولى مشيخة دار الحديث السكرية، وبها كان سكنه، وفيها تربى ولده تقي الدين.

كان يلقي والده دروسه غير مستعين بقرطاس أو كتاب يتلو منه، بل كان يتلي الساعات الطوال من ذاكرته الواعية، فهذا يدل على قوة الذاكرة والحافظة والقدرة على البيان وثبات الجنان ولعل ابنه ورث منه هذه الصفة، فإن الذاكرة الخارقة كانت إحدى خصائص عقلية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فكان يقرع بها الحجة ويجده له المحارب ويتحير له المناظرون الأكراد، نشأ الغلام فوجد أباه على هذا القدر من العلم والتقدير، فكان ذلك موجهًا له إلى العلم، وفي الواقع أن الأسرة كلها قد توارثت العلم والنزوع إليه، فابن تيمية نشأ في أسرة كلها علماء.

يعني هي اجتمع فيه الأمران من حيث الناحية الوراثية، ثم أيضًا الناحية البيئية فهو من حيث الوراثة ورث الاستعدادات القوية والمؤهلات من أهله، ثم جاءت البيئة أيضًا فجاءت وصقلت هذه المواهب التي ورثها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، عقد الإمام ابن الأولسي كتابه النعمان خير الدين ابن الألوسي البغدادي عقد كتابه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.

المقدمة ذكر فيها تراجم بعض آباء شيخ الإسلام ابن تيمية لنعرف البيئة العلمية التي نشأ فيها شيخ الإسلام، فأشهر آل تيمية العلماء جده العظيم المجد ابن تيمية، فجد شيخ الإسلام هو أيضًا كان يلقب شيخ الإسلام جده مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن تيمي الحراني الفقيه الحنبلي الإمام المقرئ المحدث المفسر الأصولي النحوي واحد الحُفاظ الأعلام.

ولد سنة 590 تقريبًا بحران، وحفظ القرآن، وسمع من عمه الخطيب فخر الدين، ثم ارتحل إلى بغداد مع ابن عمه سيف الدين عبد الغني وأقام بها ست سنين يشتغل بالعلوم ثم رجع إلى حران فاشتغل على عمه فخر الدين.

قال الذهبي: وقال لي شيخنا أبو العباس بن تيمية، يعني الذهبي يفتخر أنه تلميذ من تلامذة شيخ الإسلام رحمه الله، فيحكي الذهبي عن شيخه ابن تيمية قال: كان الشيخ جمال الدين ابن مالك، جمال الدين بن مالك صاحب الألفية المعروفة ألفية ابن مالك من أئمة اللغة.

كان يقول: أُلين للشيخ المجد الفقه، كما أُلين الحديد بداود، كما ألان الله الحديد لداود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فصار في يده كالعجين يشكله كيف يشاء، فألان الله -سبحانه وتعالى- الفقه لجد شيخ الإسلام مجد الدين ابن تيمية.

وقال الحافظ عز الدين: حدّث بالحجاز والعراق والشام وحران، وصنف ودرس وكان من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء، فقال الذهبي: قال شيخنا يعني المجد، كان جدنا عجبًا في حفظ الأحاديث وسردها وحفظ المذاهب الناسي بلا كلف.

قال الذهبي: وكان معدوم النظير في زمانه، رأسًا في الفقه وأصوله وصنف التصانيف واشتهر اسمه وبعد صيته وكان فرد زمانه في معرفة المذهب مفرط الذكاء متين الديانة، كبير الشأن.

ومن تصنيفاته تفسير القرآن العظيم، والمنتقى في الأحاديث، والمحرر في الفقه، ومنتهى الغاية وغير ذلك، ايه أشهر كتاب موجود منهم الآن؟ أو ايه سبب شهرته؟ إن هذا الكتاب هو الذي شرحه الشوكاني رحمه الله تعالى في كتابه نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، نتقى الأخبار هذا المتن أصلا ألفه المجد ابن تيمية جد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

قال ابن رجب في طبقاته: كان المجد يفتي أحيانًا أن الطلاق الثلاث المجموعات إنما يقع منها واحدة فقط.

توفي يوم عيد الفطر بعد صلاة الجمعة سنة اثنتين وخمسين وستمائة بحران، وتوفيت ابنة عمه زوجته بدرة المكناة بأم البدر قبله بيوم واحد، توفيت زوجته في آخر يوم من رمضان، ثم توفي هو في أول أيام عيد الفطر، وروت بالإجازة عن ضياء ابن الخريف رحمهم الله تعالى.

إذًا هذه الترجمة موجزة لجده وهو إمام عظيم جدًا من أئمة الفقه، يعني الإمام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية، من آل تيمية العلماء طبعًا ألصق الناس بشيخ الإسلام، طبعًا هو في خبر كان ذكر في بعض التراجم أن كان مجد الدين إذا دخل الخلاء كان يعطي حفيده الأوراق ويقرأ منها بصوت عالٍ ليسمع حتى في أثناء وجوده في مكان التخلي وقضاء الحاجة حتى لا يضيع الوقت، فكان يأمره أن يقف في الخارج ويرفع صوته بمدارسة العلم.

من آل تيمية أيضًا، والده شهاب الدين أبو أحمد، عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية نزيل دمشق، ولد سنة 627 بحران، وسمع من والده وغيره وأتقن العلوم ودرس وأفتى وصنف وصار شيخ البلد بعد أبيه.

قال الذهبي: وكان إمامًا –والد شيخ الإسلام- وكان إمامًا محققًا كثير الفنون ثم يقول بهذه العبارة مشهورة جدًا جدًا في بيان مرتبة الحفيد والأب والجد من العلم، كلمة مشهورة جدًا والحقيقة كلمة معبرة، يقول الذهبي في والد شيخ الإسلام: وكان إمامًا محققًا كثير الفنون، وكان من أنجم الهدى، يعني نجم في السماء من نجوم الهدى، وكان من أنجم الهدى، وإنما اختفى من نور القمر، وضوء الشمس، يعني إذا تخيلت في الليل والقمر حتى ليلة البدر بدرًا وهناك نجم فما ضوء النجم بالنسبة لضوء القمر؟ لا يظهر ضوء النجم بجانب ضوء القمر خاصة إذا كان بدرًا مكتملًا.

فالبدر هو الجد، والنجم هو الوالد، طيب إذا ظهرت الشمس بقى؟ هل يظهر قمر أو نجم؟ لا يظهر شيء، فالحفيد اللي هو شيخ الإسلام ابن تيمية فلما ظهر اختفى جد أبيه بالنسبة لعلم شيخ الإسلام، فهو تعبير الحقيقة معبر جدًا عن مكانة شيخ الإسلام من العلم بالنسبة إلى والده وإلى جده، فهما كانا في مرتبة عظيمة من العلم لكن يقول في حق أبيه وكان إمامًا محققًا كثير الفنون، وكان من أنجم الهدى وإنما اختفى من نور القمر وضوء الشمس، يشير إلى أبيه وابنه.

وكان له كرسي بالجامع يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه، توفي (15:41) ذي الحجة سنة 682 ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

من آل تيمية، أبو محمد سيف الدين عبد الغني ابن فخر الدين عبد الله بن تيمية خطيب حران وابن خطيبها، وعظ ودرس وصنف وله كتاب الزوائد على تفسير الوادل ورحل إلى بغداد وسمع من علمائها وتوفي سنة 639.

منهم المفتي الزاهد القدوى شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية، وهذا شقيق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

شرف الدين، ولد سنة 696 بحران، يبقى ايه الفرق بينه وبين شيخ الإسلام؟ 696 ولد سنة 696 بحران وقدم بحران وقدم إلى دمشق رضيعًا فحضر بها على جماعة، واشتغل بالعلوم وبرع في الفرائض والحساب وعلم الهيئة وفي الأصلين والعربية والحديث، ودرس بالحنبلية مدة وكان قارئًا زاهدًا عابدًا ورعًا، كثير الصدقات، له كرامات وحج مرارًا، وجلس مع أخيه مدة في الديار المصرية، وقد استدعي غير مرة وحده للمناظرة فناظر فأفحم الخصم، وأثنى عليه الزملكاني والذهبي في معجمه كثيرًا، توفي بدمشق وصلي عليه بالجامع، وحمل إلى القلعة فصلى عليه أخواه شيخ الإسلام وعبد الرحمن وغيرهما، المهم دفن في مقابر الصوفية سنة 727.

منهم أيضًا محمد بن تيمية الخطيب الواعظ الفقيه الحنبلي، كان فاضلًا، تفرد في بلاده بالعلم وكان المشار إليه في الدين، وله قبول تام عند الخاص والعام وكان أبوه أحد الزهاد، وذاك ذكره المؤرخون وأثنوا عليه.

منهم أيضًا، زينب بنت تيمية، زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية، قال الحافظ بن حجر: سمعت من الحجار وغيره وحدثت وأجازت له، يعني هي شيخة الحافظ بن حجر وأجازته.

قال في الشغرات وتوفيت سنة 799 رحمها الله تعالى.

هذه ترجمة موجزة لأشهر الشخصيات في آل تيمية، وبلا شك أن ابن تيمية تأثر بهذه البيئة العلمية كما قلنا بجانب العنصر الوراثي، فالأسرة توارثت كلها العلم، وتوارثت النزوع إلى العلم، فقد كان جده مجد الدين عالمًا جليلًا يُعد من أئمة الفقه الحنبلي المخرجين فيه وله كتابات في أصوله قيمة، ثم نتحدث عن نشأته فيقول الشيخ أبو زهرة: هذه أسرة تقي الدين بن تيمية، وهي أسرة علم امتازت بقوة البيان وقوة الذاكرة، وحبست نفسها على العلم وكانت النتائج لهذه البيئة العلمية، أن يتجه الفتى الناشئ فيها إلى العلم فاتجه إليه الغلام ابن تيمية صغيرًا، فحفظ القرآن الكريم منذ حداثة سنه، واستمر حفظًا له إلى أن فاضت روحه إلى بارئها، حتى إنه ليروى أنه تلى في السجن القرآن، وختم ثمانين ختمة، أو تزيد، في فترة سجنه الأخيرة التي توفي فيها في السجن.

فقد كان القرآن الكريم أعظم عدته وأسعف ذخيرته، اتجه بعد حفظه للقرآن إلى حفظ الحديث واللغة، وتعرف الأحكام الفقهية، وحفظ ما يسعفه به الزمن، وقد بدى فيه منذ صغره ثلاث من مزاياه ثمت وظهرت ثمرتها في كبره، أولاها الجد والاجتهاد.

والانصراف إلى المجد من العلوم والدراسات، لا يلهو لهو الصبيان ولا يعبث عبثهم، ثانيتها تفتح نفسه وقلبه لكل ما حوله، يدركه ويعيه فلم يكن الغلام المنقطع عن الأحياء والحياة إلى الحفظ والاستذكار فقط، ولكن كان يفهم كل ما حوله ويعايشه، الميزة الثالثة الذاكرة الحادة، والعقل المستيقظ والفقه المستقيم والنبوغ المبكر، كانت ذاكرته حديث زملاؤه من الفتيان، بل تجاوز صيته دائرة الصبيان إلى دائرة الرجال، وتسامعت دمشق وما حولها بذكاء هذا الطفل ونبوغه.

جاء في العقود الدرية في مناقب ابن تيمية لتلميذه ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى ما نصه:

اتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كتابه، وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة حتى يجيء، فجلس الشيخ الجليل قليلًا، فمر صبيان، فقال للشيخ الحلبي: هذا الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح، فنظر فيه، ثم قال: يا ولدي، امسح هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث 11 أو 13 حديثًا، فقال: اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم رفعه إليه وقال اسمعني فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع، فقال: يا ولدي امسح هذا، فأملى عليه عدة أسانيد انتقبها ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم يُرى مثله.

فمن الثابت ومن المعروف عن شيخ الإسلام أنه أوتي ذاكرة واعية منذ صباه، ولا شك أن الذاكرة مقياس مهم جدًا للذكاء قوة وضعفًا، ويبدو أيضًا أنه كما ذكرنا ورث قوة الحافظة والذاكرة عن أسرته فقد كان أبوه يمتاز بذلك وكذلك كان جده رحمهم الله تعالى أجمعين.

اتجه ذلك الغلام منذ صغره والعود أخضر إلى العلم ينهل من مناهله، ويأخذ من منابعه، ولم يعرف أنه اتجه إلى غير العلم في صدر حياته، ثم عدل عنه إليه.

هو لم يقل المعقول تصور أنه اشتغل بغيره ثم عدل إليه، لأن أسرته كانت من الأسر التي انصرفت في العلم والخطابة والوعظ والتأليف في الفروع وفي الأصول، وكان لأبيه كما قلنا منزلة خاصة، لقد كان في مشيخة الحديث في بعض مدارس دمشق، فكان المنطق أن ينصرف إلى العلم منذ نشأته لأنه لا يتصور مثله.

يعني مثلا لم يكن أبوه تاجرًا كما كان والد النعمان أبو حنيفة، لأن أباه كان حريصًا على أن يشغله معه في التجارة، ومع ذلك قيض الله لأبي حنيفة أسباب العلم، لكن شيخ الإسلام أعانته البيئة التي تعرف قيمة العلم، وهي مشبعة بالعلم وأعانته على أن يحدد وجهته منذ البداية، فلم يتشتت همته في أودية الدنيا ولا في غير العلم الشريف.

كما ذكرنا اتجه الإمام ابن تيمية أول ما اتجه بعد حفظ القرآن إلى حفظ الحديث وروايته وتلقيه عن رجاله، وسماع الكتب عن المشايخ الكبار، وسماع الدواوين الكبار، كمسند الإمام أحمد وصحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني، سمع كل منها مرات عدة، وأول كتاب حفظه في الحديث الجامع بين الصحيحين لإمام الحميدي.

قالوا معاصروا شيخ الإسلام: إن شيوخه الذين سمع منهم أكثر من 100 شيخ، شيوخ شيخ الإسلام الذين تربى عليهم أكثر من 200 شيخ وسمع مسند الإمام أحمد مرات.

فهيأ ذلك الغلام الصغير بيسر ومن غير عناء لمقام أبيه، وقد مكث على رياثة الحديث على نحو من 14 سنة، فاكتسب بذلك نفوذًا على الشيوخ فوق منزلته الشخصية التي هيأته لذلك المنصب، ولقد كان مع دراسته الحديث يدرس علومًا أخرى، فدرس الرياضة وعني بالعلوم العربية عناية خاصة، فدرسه كأنه يقصد إليها ليتخصص فيها، فحفظ المنثور والمنظوم وأخبار العرب في القديم، وأيام ازدهار الدولة الإسلامية، وبرع في النحو براعة واضحة.

حتى إنه يتأمل كتاب سيبويه، ويدرسه دراسة فاحصة ناقدة، فيخالف بعض ما فيه معتمدًا على ما درس في غيره، فلم يكن يتهجم على غير بينة، أو من غير حجة وسلطان مبين، فكان شيخ الإسلام متضلعًا جدًا من علوم اللغة العربية، متقنًا حتى إن نقده لسيبويه، كان هو سبب الجفاء الذي حصل بينه وبين أبي حيان، الجفاء الذي حصل بينهما كان بسبب أنه انتقد سيبويه، فلما عاتبه أبو حيان على ذلك، قال: وهل كان سيبويه نبي النحو؟ أو هل كان معصومًا، إن سيبويه أخطأ في 80 موضعًا ما تعرفها أنت، فحصل (25:39) بينهما الجفوة وبعد ما كان يمدحه بالأشعار الكثيرة تحول عنه وحصل نوع من الجفوة.

أيضًا كان مع هذا يدرس الفقه الحنبلي ويتتبع سير ذلك المذهب الجليل وأبوه في هذا الموقف نعم الموجه، فهو من شيوخ ذلك الفقه، كما هو من شيوخ الحديث والبارزين فيه، وكان ينزع أيضًا إلى تعلم تفسير القرآن ومراجعة الموسوعات التي كتبت فيه ويقرؤها بعقل فاحص، وفكر حر غير مقيد إلا بالأثر الصحيح واللغة الصحيحة، والعقل الحاكم والوجدان المستيقظ والفكر الحكيم.

طبعًا ملازمته لأبيه بلا شك سوف يكون لها تأثير عظيم جدًا في طلب العلم، فهذه الملازمة من الأمور المهمة جدًا، يعني الإمام أبو حنيفة يقول: كنت في معدم العلم والفقه لما سئل من الذي وجهه؟ قال: كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولازمت فقيهًا من فقهائه، هذه الملازمة تحققت لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد لازم أباه، ودارس العلماء ونهل من كل ينابيع العلم.

وكان في دمشق معدن العلم فإن ذلك المصر كان ثاني اثنين آوى إليهما العلماء في المشرق والمغرب، أول المصرين القاهرة، فبعد أن اضطهد العلماء في بلاد الأندلس وانقسمت طوائفها، وأخذ الأعداء يتلقفونها قطعة قطعة، أخذ العلماء حينئذ يتوافدون إلى القاهرة أفواجًا، ويأذنون إليها ليجدوا الحماية في ظل المسلمين فيها، وحكامها، الذين كانوا يحسنون ضيافة العلماء وإيواءهم ويجرون الأرزاق عليهم ويحبسون الأحباس لهم، ولما أغار التتار في الشرق واستولوا على المدائن الإسلامية يعيثون فيها فسادًا، وانسابوا في الدولة الإسلامية، حتى سقطت حاضنة الخلافة بغداد في أيديهم، فر العلماء بعلمهم إلى دمشق، ومنهم من اتخذها مستقرًا ومقامًا، فوق ما كان لها من مكانة علمية ذاتية، ومنهم من اجتازها إلى مصر حيث البعد عن غارات التتار وغيرهم.

إذًا كانت دمشق في عهد شيخ الإسلام عش العلماء والمأوى الذي يأرز إليه العلماء، ولذلك أوت الأسرة إليها واتخذت لها مكانًا فيه، وعرف الحكام حينئذ قدرهم، وجعلهم في الذروة والسنام، كان في دمشق مدارس للحديث كان يعلم فيها ويدرس حديث رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- كأمثال النووي وابن دقيق العيد، والمزي والزملكاني يدرسون الحديث دراسة فاحصة، من رجال الأسانيد ومن متون الحديث مع موازنة المرويات بعضها ببعض.

وقد تجمعت الأحاديث ودونت فكانت الدراسة عن بينة واستقراء جامع وفحص عميق، وقد ذخرت المكاتب بالكتب الضخمة، التي أنتجتها الدراسة في هذا العصر، لأننا قبل كده قلنا إن ده كان عصر يسمى عصر دوائر المعارف، من ناحية التأليف كان هناك إنجازات كثيرة جدًا من ناحية التأليف يقول: حتى إن الإنسان ليقرأ الباب فيجد الأحاديث الواردة فيه مجتمعة كلها غريبها وحسنها وصحيحها وضعيفها مع التنبيه على مراتبها، متوافقها ومتعارضها فيسهل على الدارس طلب الحق في الموضوع بأيسر كلفة وأقل مجهود مع عقل مستقيم ومنطق سليم مقيد بقيود الأصول والتخريج والاستنباط.

بجوار مدارس الحديث كانت توجد مدارس الفقه فهذه مدارس الفقه الحنبلي وتلك مدارس الفقه الشافعي، وقد خص آل أيوب المدارس الشافعية بفضل من العناية، لأن صلاح الدين الأيوبي **رضي الله عنه** كان شافعيًا متمسكًا جدًا بالمذهب الشافعي فرفع شأن ذلك المذهب في دمشق والقاهرة.

وكان في جوار دراسة الفقه والحديث كانت هناك دراسة العقائد، وقد بالغ بنو أيوب في نشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العقائد، لأن صلاح الدين الأيوبي منذ صغره حُفظ متنًا معينًا في العقيدة الأشعرية فمن ثم نمى على ما نشأ عليه، وكان متمسكًا بالمذهب الأشعري في العقائد.

ذكرنا من قبل أن المذهب الأشعري كان سائدًا تمامًا في الغرب كما كان في الشرق، طبعًا في الغرب هو طارئ على البيئة العلمية في المغرب الإسلامي كما ذكرنا لأن أصل أهل المغرب ما كانوا يعرفون أي شيء من التأويل ومذاهب أهل الكلام والفلاسفة ونحو ذلك، على الإطلاق كان العلماء يحرمون ذلك، وكانت الدولة دولة المرابطين فتبنى المذهب السلفي بكل قوة وحزم، وتمنع تمامًا الترويج لأي مذهب مخالف لمذهب السلف إلى أن حصل حركة ابن تومارت وقضى على دولة المرابطين، وأقام دولة الموحدين واعتمد على ذلك أساليب المكر والخيانة، والخداع، والحيل، كما فصلنا ذلك من قبل في الكلام على مهدي المغاربة ابن تومارت.

وبالقوة وبالتعسف وبالقهر نشر المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي، وشاع وذاع حتى صار مذهب السلف شبه مهجور، فما كان يعرف بعد ذلك في بلاد المغرب، مع أنه كان هو الأصل.

كذلك في باقي البلاد الإسلامية كان السائد في العقيدة هو المذهب الأشعري، حتى لا يكاد يتصور أن أحد يخالف المذهب الأشعري إلا الحنابلة، يقول المقريزي في خططه: حفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفاها قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، هو حفظها وصار يحفظها صغار أولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيامهم كافة الناس على التزامها.

يبقى ده مذهب كانت الدولة تتبناه تمامًا كما تبنت الدولة العباسية في بعض مراحلها ايه؟ مذهب المعتزلة، وبالقوة وبالقهر أجبرت الناس عليه، ومحنة الإمام أحمد معروفة فبنو أيوب وأولاد صلاح الدين الأيوبي، شدوا البنان على المذهب الأشعري وحملوا في أيامهم كافة الناس على التزامه، فتمادت الحال على ذلك في جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الأتراك، مواليهم الأتراك اللي هم مين؟ المماليك.

وكذا فعل ابن تومارت، يعني المماليك دول كانوا موجودين لحد من قريب نسبيًا، لحد محمد علي كما هو معلوم.

وكذلك فعل ابن تومارت في المغرب بعد أن أخذ عن الغزالي مذهب الأشعري، هو يقال أنه صحيح لم يقابل الغزالي، وكان هذا هو السبب في انتشار المذهب الأشعري، في الأمصار حتى لم يبقى مذهب يخالفه إلا أن يكون المتبعون مذهب ابن حنبل، فإنهم كانوا على ما عليه السلطان.

يعني عامة الناس كانوا على دين ملوكهم، فالسياسة طبعًا لما تتبنى مذهب عقيدي معين لا شك سوف تسخر كل إمكانياتها لفرضه وإرهاب مخالفيه، ومن ثم اشتدت غربة شيخ الإسلام وأصحاب أو أنصار المذهب السلفي في ذلك الجو، لأنهم كان هو السائد وتوارثه الناس وتعصبوا له، وكأنه الحق الذي لا يوجد الحق في غيره.

لأن ابن تيمية نال مرتبة الاجتهاد المطلق بشهادة أعرف الناس به من أئمة عصره، كما سنبين.

فبيقول: كان الحنابلة يسلكون في دراسة عقائدهم مسلكهم في دراسة الفقه، يستخرجون العقائد من النصوص، كما يستخرجون الأحكام الفرعية من النصوص، لأن الدين مجموع الأمرين فما يسلك في تعرض أحدهما يسلك لا محالة لاستخراج الثاني، طبعًا الذي يجعلها مش هقول نسيء الظن لا نفهم هذا الكلام على أنه نوع يعكس موقفًا ضد شيخ الإسلام في مسألة العقيدة إن هو في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية، النصف الثاني من الكتاب اللي هو تاريخ المذاهب السياسية والعقائدية لما تكلم عن السلفيين كان ينعي على السلفيين وينتقدهم بأنهم يريد هؤلاء السلفيون أن ندرس العقيدة بالرجوع إلى الكتاب والسنة فقط، ولا ندمجها بالكلام والفلسفة ونحو ذلك.

فهذا يدل على موقف صريح وواضح من العقيدة السلفية، فمن ثم هنا حاول أيضًا يعني مطب بس ده مطب عميق شوية، وكانت في القرآن آيات فيها وصف الله -سبحانه وتعالى- بما يفيد في ظاهره التشبيه بالحواديث، وهذا كلام غير صحيح، لأننا نقول إن ظاهر هذه الآيات هو ما يليق بالله -سبحانه وتعالى-، مادامت تنسب إلى الله فظاهرها ما يليق بالله عز وجل، وأننا نثبتها بدون تشبيه وبدون تعطيل، مذهب (34:38) في غاية الوضوح.

فدائمًا يحاولوا عند صياغة المذهب برده نفس أبو زهرة في موضع آخر بيقول إن ابن تيمية والسلفيين يريدوا أن يصفوا الله بالفوقية والتحتية، طبعًا هذا ظلم مبين وتجني فاحش على الحقيقة، لأن من قال كلمة التحقيق ما أحد أبدًا قال هذا، فهذا أيضًا من التجني، يقول: وفي الأحاديث ما يشبه ذلك يعني آيات الصفات فكانوا يفسرونها على مقتضى ما تؤديه اللغة، بحقيقتها ومجازها، ودي فيها نظر أيضًا لأن موضوع المجاز فيه كلام مفصل.

أما الأشاعرة فيسلكون في تعريف العقائد مسلك الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي، وده (35:15) شيخهم أبا الحسن الأشعري نشأ في أول حياته نشأة اعتزالية، فأثقل، هي نوع من المعايش للمذهب الأشعري، إلى أن يقول: وكان للحنابلة بين المدارس الفقهية والاعتقادية مدارس خاصة بهم، مثل المدرسة الجوزية والمدرسة السكرية كما كان لهم المدرسة العمرية، التي أنشأها لهم أبو عمر بن قدامة رحمه الله تعالى.

يقول: وفي هذه المدارس الحنبلية تخرج ابن تيمية، ومش عارف ليه واضع خط تحت العبارة دي بالذات، المدارس الحنبلية تخرج ابن تيمية، ما هو طبيعي هيتخرج من مدارس مذهب آبائه.

ودرس في كنف أبيه ورعايته وتوجيهه، وكان لا بد قد رأى الأشاعرة وهم يهاجمون الحنابلة ويرمونهم بالتجسيم والتشبيه، ووجد طرائقهم الجدلية ودراستهم للعقائد التي تجمع بين النهج الفلسفي العقلي والنهج العقلي، فدرس الطريقتين وأتقنهما، ودرس المنطق وأشكاله وأقيسته.

على أي الأحوال، هو شيخ الإسلام يمكن ربما لا نجد في الكتب كلامًا مشبعًا من حيث تفاصيل نشأته العلمية، لكن هناك ما يدل على هذا المبلغ العظيم الذي بلغه من هذه العلوم، شيخ الإسلام يمكن مافيش وصف دقيق لكيف توسع في العلم هذا التوسع العجيب، لكن الثمرة نراها تعكس أنه فعلًا تعلم ونهل من كل منابع العلم.

يعني ابن تيمية كسر المنطق، أزهق روحه، وفي كتابه نقد المنطق، وكتابه في البرأ تعارض، موقف شيخ الإسلام وسبب تلقيبه بمفتي الفرق، يعني كان الرجل من كبار فرقة من الفرق يجلس إليه فيتعلم من ابن تيمية، يعلم الأشياء من فرقته ليعرفه، فمستوى مدهش من الذكاء وعلم، وموسوعية علم شيخ الإسلام ابن تيمية يعكس أنه قضى وقتًا طويلًا جدًا، وبذل جهدًا كبيرًا في تحصيل العلوم بكل أنواعها، وأنه أحاط علمًا بثقافة عصره، لأنه تصدى لكل هؤلاء وكانت له الغلبة والحجة عليهم، فهذه لا يمكن أن تأتي من فراغ وإنما تعكس مدى تحصيله للعلم الشريف.

نذكر الآن من خلال كتاب الانتصار، وهذا أجمع كتاب لترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، أجمع كتاب كتاب "الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين" تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، تأليف تلميذ من تلامذة شيخ الإسلام النابغين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، له كتاب مشهور اسمه كتاب محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تلميذ شيخ الإسلام أشهر كتاب له غير العقود الدرية، ما هو كتاب العقود الدرية هو نفس الكتاب ده الانتصار، لأن ده الاسم الحقيقي للكتاب، كما حقق ذلك الدكتور الجولاني.

ودي من المفاخر العظيمة إن وزارة الأوقاف هنا في مصر إنها أصدرت هذا الكتاب أخيرًا الرائع فيه دفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعًا ده تقدم مدهش من موقف الأزهر من دعوة شيخ الإسلام، وقبل ذلك طبعًا كانت أول رسالة تصدر في الأزهر عن شيخ الإسلام كانت إيمان ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للدكتور محمد السيد الجولان، لأول مرة الأزهر ينصف شيخ الإسلام.

وهذه من المرات الرائعة إن كتاب منشور وموجود في الأسواق الآن، كتاب الانتصار لابن عبد الهادي، أفضل ترجمة لابن تيمية، فابن عبد الهادي أشهر كتاب له ايه؟ كتاب في مسألة الزيارة، "الصارم المنكي في الرد على السبكي".

"الصارم المنكي في الرد على السبكي" هذا كتاب يعكس قيمة ابن تيمية ومكانته العلمية الرفيعة، ده أشهر كتاب من الكتب التي اقترن اسم الحافظ بن عبد الهادي به، يقول الحافظ بن عبد الهادي رحمه الله تعالى: وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاتها معجم الطبراني الصغير، وعني بالحديث وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكر.

الكتاب يعني وكان الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى كان في بعض كتبه ينشر رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية فمن العجيب إن ابن تيمية لما كان يكتب، وهو جاب فعلا خط شيخ الإسلام، ما يسيبش مسافة بين الكلمات، كان الكلام لشدة العجلة لأنه يريد أن يكتب بسرعة فكانت يكتب الكلام متصلًا لا ينقطع إلا في آخر السطر من شدة السرعة في الكتابة رحمه الله تعالى.

وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبد القوي، اللي هو المزدوي، عبد القوي ده بقى له حاجة كده مشهورة ايه هي؟ منظومة الآداب، منظومة الآداب التي شرحها محمد أحمد السفرين في كتاب غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب لابن عبد القوي.

وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًا، حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

شيخ الإسلام في التفسير مدهش يعني شيء لا يوصف براعة شيخ الإسلام في التفسير وكل ما قرأ الإنسان لشيخ الإسلام في التفسير تملؤه الحسرة على أنه لم يصنف تفسيرًا كاملًا في القرآن الكريم.

هو في آخر عمره في السجن لما خلا بالقرآن وأخذ في السجن بقى التر بعيدًا عن المعارك ومنعت عنه الأوراق والكتابة، حتى وكتب قصيدة على جدار الزنزانة فاضطر إلى الخلوة بالقرآن، لأنه متفرغ.

فختم كما قلنا ثمانين ختمة في فترة سجنه، وكان يتأمل ويتفكر في آيات الله فأبدى ندمًا في آخر عمره على أنه لم ينفق ما مضى من عمره في تدبر الكتاب الكريم، وطبعًا من قرأ لابن تيمية في التفسير يعرف معنى هذا الكلام، إن ابن تيمية مبدع في تفسير القرآن الكريم.

هذا كله ما وصل لهذه المرحلة اللي هو اتقان اللغة العربية تمامًا، وإتقانه لعلم التفسير وأصول الفقه والفقه ونحو ذلك، كان بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه.

ثم ينقل الحافظ ابن عبد الهادي، ثناء الذهبي على شيخ الإسلام، يقول: وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى: نشأ يعني تقي الدين رحمه الله في تصوف تام وعفاف وتأله وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسعة عشرة سنة.

تأهل للإفتاء وله تسعة عشرة سنة، بل أقل وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال، ومات والده وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم فدرس بعده بوظائفه، وله 21 سنة، واشتهر أمره، وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على كرسي من حفظه، فكان يرد المجلس ولا يتلعثم، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح.

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا وقد ذكر نبذة من سيرته، أما مبدأ أمره ونشأته فقد نشأ من حين نشأ في جحور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم، راتعًا في رياض التفقه وذوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها.

ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًا متألهًا عن الدنيا، صينًا تقيًا بارًا بأمه، ورعًا عفيفًا، عابدًا ناسكًا صوامًا قوامًا، ذاكرًا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، رجاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر بالمعروف.

لا تكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث، وقل أن يدخل في علم من العلوم، من باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله، مقصوده الكتاب والسنة.

ولقد سمعته في مبادئ أمره، شوف مبادئ أمره وهو غض طري في ريعان الشباب، يقول هذا الشخص الذي كان من قدماء أصحاب شيخ الإسلام، يقول: ولقد سمعته في مبادئ أمره، يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي، فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل.

قال: وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرس أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي.

قال هذا الصاحب: ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به في ختمة أو في مجلس ذكر خاص، مع أحد المشايخ المذكورين، وتذاكروا وتكلم مع حداثة سنه، يعني لو وجد في مجلس فيه كبار العلماء والمشايخ وجاء دوره في الكلام مع حداثة سنه، يقول: أجد لكلامه صولة على القلوب وتأثيرًا في النفوس، وهيبة مقبولة، ونفعًا يظهر أثره وتنفعله النفوس التي سمعته أيامًا كثيرة بعقبه، حتى كان مقاله بلسان حاله وحاله ظاهر في مقاله، شهدت ذلك منه غير مرة.

قلت: ثم لم يبرح، قال اللي هو الذهبي، ثم لم يبرح شيخنا رحمه الله في ازدياد من العلوم، وملازمة الاشتغال والإشغال وبث العلم ونشره والاجتهاد في سبل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والعفة والصيانة وحسن القصد والإخلاص والابتهال إلى الله، وكثرة الخوف منه وكثرة المراقبة له، وشدة التمسك بالأثر والدعاء إلى الله، وحسن الأخلاق، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له وسائر أنواع الخير.

وكان رحمه الله سيفًا مسلولًا على المخالفين، وشجن في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحرًا لا تكدره الدلاء، وحبرًا يقتدي به الأخيار الأرباء، (46:25) بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج، وهو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي الشافعي اللي هو حافظ محدث من الأئمة الكبار، برع في علوم اللغة ومعرفة الرجال، وهو صاحب كتاب "تهذيب الكمال والأطراف".

يقول: قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، يعني إن عين شيخ الإسلام لم تقع على أحد يكون مثله، مش معناه إن ابن تيمية هو ده رأيه في نفسه، لكن كلمة ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، يعني كل من قابلهم لم يكن فيهم أحد مثل شيخ الإسلام، ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولا أتبع لهما منه.

أما ابن الزملكاني فقد أثنى أيضًا على ابن تيمية، وكان رئيس المذهب الشافعي في عصره، وهو كان يختلف مع شيخ الإسلام حتى أنه صنف سلف الرد على شيخ الإسلام في مسألتي الطلاق والزيارة، لكنه مع ذلك انظر إلى كلامه فيه، وهو مختلف معه.

يقول كمال الدين بن الزملكاني: كان –أي ان تيمية- كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه، ما لم يكونوا عرفوه من قبل، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه.

وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها الخلاف بين المفتين في العصر، فكتب فيها مجلدة كبيرة، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود فكتب فيها مجلدة كبيرة، ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء، وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين على كتاب بيان الدليل على إبطال التحليل لشيخنا، وقد ذكر ترجمته فقال، يعني معلق على الكتاب: من مصنفات شيخنا وسيدنا وقدوتنا الشيخ السيد الإمام العالم العلامة الأوحد البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الإسلام ومفتي الأنام سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ناصر السنة قامع البدعة حجة الله على العباد، راد أهل الزيغ والعناد أوحد العلماء العالمين أخر المجتهدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأعاد عليهم من بركاته إنه على كل شيء قدير.

يقول: وقرأت أيضًا بخطه أي خط كمال الدين بن الزملكاني، أيضً علق على كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام، كتاب مهم جدًا، ما موضوع هذا الكتاب، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، نحن عندنا أمنية سلفية فعلا يعني، دي أشياء دي ماكانش حد زمان ياخد رخصة جواز المرور السلفية إلا يكون متقن لهذه الأشياء، رفع الملام من أهم كتاب على الإطلاق للإمام شيخ الإسلام من ناحية المسائل المذهبية واختلاف العلماء والتماس الأعذار لهم، وذم التقليد، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام.

علق ابن الزملكاني على الكتاب قائلًا: تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، بركة الإسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين، قامع المبتدعين محيي السنة، ومن عظمت به لله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، أعلى الله مناره وشيد به من الدين أركانه.

ثم قال ابن الزملكاني: ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر، هو حجة لله قاهرة، هو بيننا أعجوبة الدهر، هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر.

كذلك أيضًا يقول الذهبي، معلقًا على نسخة أيضًا من كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام يقول كتب عليه يعني: سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام، مفتي الفرق قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحث العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العلماء أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني.

نختم بثناء ابن سيد الناس، وأيضًا البرزالي على ابن تيمية، يقول الحافظ فتح الدين أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري، هذا من الأئمة الكبار بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبي الحجاج الزي.

بعد ما ذكر ترجمة المزي ذكر حسنة أزداها إليه المزي، وهو أنه دله على شيخ الإسلام ابن تيمية ونصحه بأن يحاول رؤية شيخ الإسلام وأن يقابل شيخ الإسلام، فيقول: وهو الذي يعني ابن سيد الناس، يقول وهو يتكلم عن ابن حافظ المزي، وهو الذي حذاني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو دراية، أو حاضر بالنحل والملل لم ترى أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم ترى عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير.

فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله روضة وغدير، إلى أن دب إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه في حنبلية من أمور المعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلامًا أوسعوه بسببه ملامًا، وتوقوا لتبديعه سهامًا وزعموا أنه خالف طريقهم، وفرق فريقهم فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه.

ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدق باطل منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق وذكر لها على ما زعم زوائق، فأضت إلى الطائفة الأولى من مزايانه.

يذكر هنا سبب قيام الكثيرين من الناس عليه، لأنهم كانوا أهل بدعة وضلالات وكان هو الذي يكشف باطلهم، إلى أن يقول: يسمونه غيب المنون، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون.

وقد دبت إليه عقارب مكره فرد الله كيد كل في نحره، ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره، ثم لم يخلو بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، إلى أن فوض أمره إلى بعض القضاة، فتقلد ما تقلد من اعتقاله ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، وإلى الله ترجع الأمور وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وكان يومه مشهودًا ضاقت بجنازته الطريق وانتابه المسلمون من كل فج عميق يتبركون بمشهده يوم الأشهاد ويتمسكون بسبيره حتى كسروا تلك الأعواد، الإمام البرزالي علم الدين البرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي له كتاب مشهور هو كتاب "الأعلام العلية" في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول رحمه الله تعالى في معظم شيوخه يتحدث عن شيوخه فذكر منهم شيخ الإسلام، يقول أحمد بن عبد الحليم إلى قوله ابن تيمية الشيخ تقي الدين أبو العباس الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه، قرأ الفقه وبرع فيه والعربية والأصول ومهر في علمي التفسير والحديث، وكان إمامًا لا يلحق غباره في كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعييف والإبطال.

وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه من الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى، والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى.

كان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس يفسر القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله خلق كثير، وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى ورد ما يفتح به عليه.

وقال في موضع آخر: كان قد نظم شيئًا يسيرًا في صغره، وكتبت عنه إذ ذاك ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه، مما يدل على تمكن ابن تيمية في علوم اللغة، بجانب العلوم طبعًا الأخرى، كان كثيرًا ما يسأل يجيله السؤال بناصب فيجيبه بناصب، هذا مشهور جدًا في مسألة أشهر حاجة، أشهر منظومة لشيخ الإسلام القدر، اللي هي قصيدة اسمها التائية، القصيدة التائية المعروفة، إن شاء الله سوف نذكر شيء عنها فيما بعد.

فسأله رجل مخلط في مسألة القدر، وهو واحد يهودي كان يقع مع المسلمين في مسألة القدر، فرد عليه شيخ الإسلام بالقصيدة التائية المشهورة.

أيضًا في لغز مشهور جدًا لغز الرشيد الفارقي، نظم لغزًا من ثلاثة أحرف صاغه شعر، طبعًا هيكون صعب نمر بالقصيدة كلها، لكن شيء مدهش الحقيقة، يعني هو الرشيد الفارقي عمل لغز حاجة معينة كلمة واحدة بس، فصاغ فيها شعرًا طويلًا جدًا وتمكن شيخ الإسلام من الرد عليه وحل اللغز بقصيدة في نحو 100 بيت ارتجلها شيخ الإسلام.

100 بيت يعني أي عقلية هذه أنه يستوعب الكلام ثم يأتي بالرد بطريقة مدهشة جدًا، أحاول أن أجتزئ بعض الأجزاء، الأول لغز مثلا يقول:

هذا اللغز الذي أشار إليه الشيخ علم الدين نظمه الشيخ العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي في اسم الغدة بوصف أبرزه في وصف أوجزه بفهم أعجزه، فماذا يقول؟ يقول: ما اسم ثلاثي الحروف فثلثه مثل له والثلث ضعف جميعه، والثلث الآخر جوهر انحلت به الأعراب جمعًا فاعجبوا لبديعه، وهو المثلث جذره مثله له، وإذا يربع بان في تربيعه، جزء من الفلك العلي وإنما باقيه خوف أو أمان مروعه، حي جماد ساكن متحرك إن كنت ذا نظر إلى تنويعه، وتراه مع خمسيه علة كونه، معلوله سرًا بغير مذيعه وبغير خمسيه، جميع نحو موجود ومحمول على موضوعه، وبحائه فعل مضى مستقبلًا، حمدت صناعته لحمد صنيعه قيد بمطلقه خصوص عمومه، زيد لمفرده على مجموعه شيء مقيم في الرحيل وممكن كالمستحيل بطيئه كسريعه، وأهم ما في الشرع والدين اسمه، ومضافه بأصوله وفروعه، ودقيق معناه الجليل مناسب، علم الخليل وليس منه تقطيعه وإذا عرضي تطلب حله ألفاه في المفروق أو مجموعه وإذا ترصعه بدر فريده عقدًا يزين الدر في ترصيعه للمنطقي وللحكيم نتاجه وعلاجه بذهبه ورجوعه، وله شعار أشعري واعتقاد حنبلي فاعجبوا لوقوعه، وتمامه في قول شاعر كندة ما حافظ للعهد مثل مضيعه يرويك في ظمأ ندي بوروده ويريك في ظلم هدى بطلوعه، ولقد حللت اللغز إجمالًا، وفي تفصيله تفصيل روض ربيعه فاستجلي بكرًا من ولي بالحلى تهدى لكفء الفضل بين ربوعه.

حد فاهم حاجة؟ فضلًا عن حل اللغز في حد يعرف حل اللغز ده؟ يكون قرأها قبل كده بالتأكيد، ايه هي الكلمة؟ أحسنت، نعم مش هقول دلوقت استنى شوية.

شيخ الإسلام في مائة بيت الحقيقة هو يعني قال إن دي كلمة العلم، لأن هو ده اللي بيستعمله حساب الجمل الجمل الكبير والجمل الصغير، فعشان كده حتة التربيع والجذر التربيعي والخمس والسدس والحاجات دي كلها متاخدة على أساس الأرقام الحسابية لكل حرف، فأجاب شيخ الإسلام حلًا لمعضله وفصلًا لمجمله وفتحًا لمقفله وشرحًا لمشكله.

طبعًا مش هاقدر أقول كل القصيدة دي دلوقت لكن هنحاول نجتزأ:

يا عالما قد فاق أهل زمانه \*\*\* بفنونه وبيانه وبديعه
وغدا لأعلام العلوم منارهم \*\*\* يهدي الهداة إلى منير ربوعه

وأجاد نظما عقد جيد عقيلة \*\*\* من در بحر العلم في ترصيعه
وجلا المعارف في عوارف لفظه \*\*\* أخذا لعرف العلم من ينبوعه

وأبان عما قد حوى من كل ف \*\*\* ن قد أحاط بأصله وفروعه
ببيانه السحر الحلال ولفظه \*\*\* العذب الزلال ولفظ حسن صنيعه

بغزير علم وافتنان واسع \*\*\* ألغزت علما في فنون وسيعه
حليته بدقيق وصف صنته \*\*\* بجليل لفظ ناء عن موضوعه

ووصفته بحلى العلوم وأهلها \*\*\* ونعته بضروبه وضروعه
وجمعت في أوصافه الأضدا \*\*\* د حتى استيأس الطلاب من تتبيعه

والعبد لما أن تأمل نظمكم \*\*\* بنظامه ألقى له في روعه
أن الذي ألغزتم علم ولم \*\*\* ا يجعل المظنون من مقطوعه

لكنه أمسى يحليه بما \*\*\* حليته ويغوص في توقيعه
حتى تجلى الحق من ظلمائه \*\*\* في ليلة من قبل وقت هجوعه

فإذا الذي قد عن أول مرة \*\*\* حق تبلج فجره بطلوعه
ورأيت فيه الوصف إما باديا \*\*\* أو خافيا معناه في مسموعه

لدقيق مغزاه ولطف إشارة \*\*\* وبعد حلاه عن موضوعه
فغدوت أكشف عنه كشفا موجزا \*\*\* باشارة تهدى لشطر بقيعه

فاسمع لحل حلاه في تفصيله \*\*\* واشهد بقلب مقبل بهطوعه

دي كل المقدمة، يبدأ بقى يحل اللغز، فيقول له:

العلم لفظ ذو ثلاثة أحرف \*\*\* وهجاء كل مثل ما مجموعه

فإذا يكون مركبا من تسعة \*\*\* جذرا لها فانظر إلى تربيعه
ومربعا ساواه جذر حسابه \*\*\* ومثلثا بحدوده وضلوعه

ويكون أثلاثا فثلث مثله \*\*\* هو لامه إن خضت في توزيعه
والميم في الجمل الكبير حسابه \*\*\* هو أربعون بقول أهل ربيعه

والميم في الجمل الصغير حسابه \*\*\* عشرون هذا الثلث ضعف جميعه
والثلث عين عين كل ذاته \*\*\* هو جوهر والوصف في موضوعه

إذ كانت الأعيان قائمة بهاال \*\*\* أعراض جمعا فافطنوا لجموعه

إلى كلام في الحقيقة قصيدة طويلة جدًا مائة بيت ويمدح فيها العلم، ده في الآخر بقى بيقول:

فخذ الجواب مخلصا فيه اللبا \*\*\* ب ملخصا في نظمه لسميعه
مع ان نظم الشعر غير محصل \*\*\* لكمال مغزاه وشرح جميعه

من خاطر مستعجل مستوفز \*\*\* لم يمعن التفكير في مرجوعه
لم يجعل التحليل من مصنوعه \*\*\* كلا ولا الفضلات من مصنوعه

إذ كان مخلوقا لأكبر غاية \*\*\* دار القرار جميله وقطيعه
وعليه من أمر الإله ونهيه \*\*\* ما يلفت المعقول عن تضييعه

لكنه لا بد للمصدور من \*\*\* نفث يريح فؤاده بنخوعه
مع أنه مزجى البضاعة نظمه \*\*\* غر بحكم اللفظ في تسجيعه

عبد ذليل عاجز متضعف \*\*\* في حال مبداه وحال رجوعه

لكنه، يقصد نفسه

لكنه لما استعان بربه \*\*\* ثم استكان له بذل خضوعه

فأعانه يسر الجواب فإن يكن \*\*\* حقا برفق الوصف في توقيعه
فالحمد والفضل العظيم لربنا \*\*\* شكرا على محمود حسن صنيعه

إذ ما بنا من نعمة فبمنه \*\*\* والخير منه جميعه بهموعه
أو إن يكن خطأ فمني حيث إن \*\*\* لم أستطع متناولا لرفيعه

فالنقص للإنسان وصف لازم \*\*\* إن كان يعرف نفسه بنخوعه
والحمد لله الرحيم بخلقه البر الودود بعبده ومطيعه

وميسر الخطب العسير بلطفه \*\*\* من بعد منعته وبعد منيعه
ثم الصلاة على النبي وآله \*\*\* والمصطفين من الأنام جميعه

وعليهم التسليم منا دائما \*\*\* ما اهتز وجه الأرض بعد خشوعه

طبعًا الشيخ رشيد الدين وقف على هذا الجواب، فكتب يرد على شيخ الإسلام يقول:

أحسن في حل المسمى وما سمى ولكن جاء بالمثل وجاوز الجوزاء بالنطق والشعر بشعر رائق جزل، جلت معانيه فشكرًا له مصحف والحل كالحل، أحمد وزن الفعل فيه، وفي التقى وزن القول والفعل، أحمد وزن الفعل، هو الإمام أحمد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، كأنما أحرفه مثلث تملى عليه وهو يستملي، وحق بالفخر فتى جده المجد، وقد بورك في النسل.

يعني ليس هذا غريب عليك لأن جدك المجد مجد الدين بن تيمية، وحُق بالفخر فتى جده المجد وقد بورك في النسل فسهل الله لمن في اسمه العدل مكافآت على الفضل.

هذا ما تيسر اليوم من كلام العلماء في الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر نشأته ومبتدأ أحواله، نكتفي بهذا القدر أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت.

جزى الله الشيخ خير الجزاء، ونفعنا وإياكم بما سمعنا من العلم ونسأل الله جل وعلا أن يرفع مكانة الشيخ في المهديين، وأن يجعله علمًا من أعلام الهدى والدين ولا تنسوننا وتنسوا الشيخ من دعوة صادقة بظهر الغيب، وتقبلوا تحيات إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح بالأسكندرية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.